The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذا اليَوم
Psalms 72 & 73	سِفْر المزامير (المَزموران 72 و 73)
#D_20081211	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 662
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تشَكْ سميث

[المُقدِّمة]
(مُقدِّم البرنامج)

أهْلًا وَمَرْحَبًا بِكَ، صَديقي المُستَمِع، في حَلْقَةٍ جَديدَةٍ مِنَ البَرْنامَج الإذاعيِّ "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم". في حَلْقَةِ اليوم، سَنُتابِعُ بِنِعْمَةِ الربِّ دِراسَتَنا التَّفسيريَّة لِسِفْرِ المَزامير على فَمِ الرَّاعي "تشك سميث".

فَإنْ كَانَ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ، نَرْجو أنْ تَفْتَحَهُ على المَزْمورِ الثَّاني والسَّبْعين. أمَّا إنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ في هَذِهِ اللَّحْظَةِ، فَمَا نَرْجوهُ مِنْكَ، يا صَديقي، هُوَ أنْ تُصْغي بِروحِ الخُشوعِ وَالصَّلاة.

هَلْ تَشْعُرُ أحيانًا أنَّ الأشرارَ نَاجِحونَ ومُزْدَهِرونَ؟ وَهَلْ تُصيبُكَ مَشاعِرُ الغَيْرَةِ هَذِهِ بالإحْباطِ وَاليَأسِ وَالمَرارَة؟ وهَلْ تَلومُ اللهَ ظَنًّا مِنْكَ أنَّهُ يُعامِلُ الأشرارَ أفْضَلَ مِمَّا يُعامِلُ المُؤمِنين؟ إذا كانَ هَذا الوَصْفُ يَصحُّ عليكَ، أرْجو أنْ تَبْقى مَعَنا وأنْ تَستمِع إلى ما سيَأتي.

وَالآنْ نَتْرُكُكُمْ، أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعين، مَعَ دَرْسٍ قَيِّمٍ نَتَأمَّلُ فيهِ (بِنِعْمَةِ الرَّبِّ) في المَزْمورَيْن 72 و 73، دَرْسًا أعَدَّهُ لَنا الرَّاعي "تشك سميث":

[العِظَة]
(الرَّاعي "تْشَكْ سميث")

لقد وَصَلْنا، يا أحِبَّائي، إلى المَزمورِ الثَّاني وَالسَّبْعين. أمَّا عُنْوانُ هذا المَزْمورِ فَهُوَ: "لِسُلَيْمَانَ". ويَقولُ فَريقٌ مِنَ المُفَسِّرينَ إنَّ سُلَيْمانَ هُوَ كاتبُ هذا المَزمور، وإنَّ أُسلوبَ الكتابةِ يُشبهُ سِفْرَ الأمثال. ولكِنَّ فَريقًا آخَرَ مِنَ المُفَسِّرينَ يَسْتنِدُ إلى ما جاءَ في تَذْييلِ هذا المَزمورِ (أيْ: "تَمَّتْ صَلَواتُ داودَ بْنِ يَسَّى") ويقولونَ إنَّ الكاتِبَ هُوَ داوُد. وَهُمْ يَقولونَ إنَّ ذِكْرَ اسْمِ سُلَيْمان في العُنوان لا يَعني أنَّ الكاتِبَ هُوَ سُلَيمان، بل إنَّ سُلَيْمان هُوَ مَوضُوعُ المَزمور. ويُرَجِّحُ هَؤلاءِ أنَّ داودَ هُوَ الَّذي نَطَقَ بكلماتِ هذا المَزمورِ في أواخِرِ أيَّامِهِ، وَأنَّ سُليمانَ هُوَ الَّذي نَقَلَ هذهِ الكَلِماتِ وأعادَ نَظْمَها دُوْنَ أنْ يُجَرِّدَها مِنْ رُوْحِ أبيه. لذلكَ، مِنَ المُرَجَّحِ أنَّ الصَّلاةَ هِيَ صَلاةُ داوُد، وأنَّ الَّذي نَظَمَها هُوَ سُلَيْمان. وسوفَ نُلاحِظُ في أثناءِ قِراءَتِنا لهذا المَزمور أنَّهُ يَتَخَطَّى سُليمانَ. فَهُوَ نُبوءَةٌ عَن ابْنِ داودَ الَّذي سيَجلسُ على عَرْشِ داودَ ويَحْكُمُ بالعَدْلِ والحَقِّ والبِرِّ. بعبارةٍ أُخرى، فَهُوَ نُبوءَةٌ عَنْ يَسوعَ المَسيح.

والآنْ، نَقرأُ في الأعْداد 1 4 مِنْ هذا المَزمور:

اَللّهُمَّ، أعْطِ أحْكَامَكَ لِلْمَلِكِ، وَبِرَّكَ لابْنِ الْمَلِكِ. يَدِينُ شَعْبَكَ بِالْعَدْلِ، وَمَسَاكِينَكَ بِالْحَقِّ. تَحْمِلُ الْجِبَالُ سَلاَمًا لِلشَّعْبِ، وَالآكَامُ بِالْبِرِّ. يَقْضِي لِمَسَاكِينِ الشَّعْبِ. يُخَلِّصُ بَنِي الْبَائِسِينَ، وَيَسْحَقُ الظَّالِمَ.

ولا نُجانِبُ الصَّوابَ إنْ قُلنا إنَّ هذهِ الصَّلاةَ هِيَ صَلاةُ أبٍ لأجْلِ ابْنِهِ. فداودُ يُصَلِّي لأجْلِ المَلِكِ لكي يَجعَلَهُ اللهُ مَلِكًا حَسَبَ قَلبِهِ. فقد كانَ داودُ فَرِحًا بأنْ يَرى ابْنَهُ سُليمانَ جالسًا على كُرْسِيِّهِ. ولَكِنَّهُ كانَ يَهْتَمُّ أيْضًا بأنْ يَكونَ مَلِكًا بارًّا وعادلًا. فقد كانَ داودُ مَلِكًا بارًّا وعادِلًا. وَهُوَ يُصَلِّي لكي يَحْذو ابْنُهُ سُليمانُ حَذْوَهُ وَيَتَمَثَّلَ بِهِ. وقد كانَ مُلْكُ سُلَيْمان يَرْمِزُ إلى مَلَكوتِ المَسيح. لذلكَ فإنَّ الكَلامَ هُنا هُوَ نُبوءَةٌ عَنْ مَلَكوتِ المَسِيَّا. وَمِنَ المُعَزِّي لقُلوبِنا أنْ نَعلمَ أنَّ مَلَكوتَ المَسِيحِ هُوَ مَلَكوتُ السَّلامِ والبِرِّ. فَهُوَ سَيَقْضي لمَساكينِ الشَّعْبِ، ويُخَلِّصُ بَني البائِسينَ، وَيَسْحَقُ الظَّالِمين.

ثُمَّ نَقرأُ في الأعداد 5 8:

يَخْشَوْنَكَ مَا دَامَتِ الشَّمْسُ، وَقُدَّامَ الْقَمَرِ إِلَى دَوْرِ فَدَوْرٍ. يَنْزِلُ مِثْلَ الْمَطَرِ عَلَى الْجُزَازِ، وَمِثْلَ الْغُيُوثِ الذَّارِفَةِ عَلَى الأَرْضِ. يُشْرِقُ فِي أَيَّامِهِ الصِّدِّيقُ، وَكَثْرَةُ السَّلاَمِ إِلَى أَنْ يَضْمَحِلَّ الْقَمَرُ. وَيَمْلِكُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ، وَمِنَ النَّهْرِ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ.

فعِنْدَما بَنى سُليمانُ الهَيكلَ، صَارَ الشَّعْبُ يُدْرِكونَ جَلالَ اللهِ أكْثَرَ مِنْ أيِّ وَقْتٍ سَابِقٍ. وَقَدْ عَبَدوا اللهَ طَوالَ أيَّامِ حُكْمِ سُليمان. ولكِنَّ زَمَنَ حُكْمِ سُليمان كانَ مَحدودًا وقَصيرًا نِسبيًّا.

لذلكَ فإنَّ هذهِ الكلماتِ تُشيرُ إلى مَلكوتِ المسيح. فحينئذٍ سيَرجِعُ كُلُّ رَعايا المَلِكِ إلى اللهِ ويَنْعُمونَ بالراحةِ والتَّعزيةِ. فكما يَنْزِلُ المَطَرُ على العُشْبِ، فإنَّ تَعزياتِهِ تَنْسَكِبُ في قُلوبِ الصِدِّيقين. وهذا هُوَ ما يَفْعَلُهُ الروحُ القدسُ في قُلوبِنا حينَ نَقبلُ يَسوعَ رَبًّا ومُخَلِّصًا لحياتِنا. فَهُوَ يَسْكُنُ في قُلوبِنا وَيُرْشِدُنا، وَيُعَلِّمُنا، ويُقَوِّينا، ويُثَبِّتُنا، ويُعَزِّينا، ويُعْطينا اليَقينَ بأنَّنا أولادُ اللهِ وبأنَّنا سَنَكونُ مَعَهُ في مَجْدٍ أبديٍّ. وتَحْتَ ظِلِّ يَسوعَ، يُشْرِقُ الأبرارُ ويَجِدونَ الفَرَحَ والأمْنَ والسَّلام.

ثُمَّ نَقرأُ في الأعْداد 9 11:

أَمَامَهُ تَجْثُو أَهْلُ الْبَرِّيَّةِ، وَأَعْدَاؤُهُ يَلْحَسُونَ التُّرَابَ. مُلُوكُ تَرْشِيشَ وَالْجَزَائِرِ يُرْسِلُونَ تَقْدِمَةً. مُلُوكُ شَبَا وَسَبَأٍ يُقَدِّمُونَ هَدِيَّةً. وَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ الْمُلُوكِ. كُلُّ الأُمَمِ تَتَعَبَّدُ لَهُ.

فعلى النَّقيضِ مِنَ الأبرارِ الَّذينَ يَسْجُدونَ للمَلِكِ الحَقيقيِّ ويَعْبُدونَهُ، فإنَّ أعْداءَهُ سَيَخْضَعونَ لَهُ في النِّهايَة. بعبارةٍ أُخرى، فإنَّ جَميعَ البَشَرِ سَيَسْجُدونَ يومًا ليسوعَ المسيحِ لَهُ كُلُّ المَجْد (إمَّا طَوْعًا أوْ رَغْمًا عَنْهُم). فَهُوَ سَيَمْلِكُ يومًا لا على الفُقَراءِ وأهْلِ البَرِّيَّةِ فقط، بل على سَاكِنِي القُصورِ أيضًا. فالجَميعُ سيأتونَ بِتَقْدِماتِهِمْ لهُ ويَطْرَحونَ تِيْجانَهُمْ عِنْدَ قَدَمَيْه. وقد حَدَثَ هذا جُزْئيًّا في عَهْدِ سُليمان إذْ إنَّهُ تَعَظَّمَ على كُلِّ مُلوكِ الأرضِ في الغِنى والحِكمةِ. فقد كانَ جَميعُ مُلوكِ الأرضِ يأتونَ إلى سُليمانَ وَهُمْ يَحْمِلونَ الهَدايا ليَسمعوا حِكْمَتَهُ الَّتي كانَ يَسْتَمِدُّها مِنَ اللهِ العَلِيِّ. وقد تَحَقَّقَتْ هذهِ النُّبوءاتُ جُزئيًّا بولادةِ يَسوعَ إذْ نَقرأُ أنَّ مُلوكَ المَشْرِقِ وَحُكَماءَ المَشْرِقِ جَاءوا بهداياهُمْ وَكُنوزِهِمْ وَسَجَدوا للطِّفْلِ يَسوعَ عِنْدَ ولادَتِه.

ولكِنَّ التَّحقيقَ الكاملَ لهذهِ النُّبوءاتِ سَيَتِمُّ عِنْدَ مَجيءِ يَسوعَ ثانيةً. فنحنُ نَقرأُ في رسالةِ بُولسَ الرَّسول إلى أهلِ فيلبِّي 2: 5 11: "فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً للهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ".

ونَقرأُ أيضًا في سِفْرِ الرُّؤيا 1: 5 و 6: "وَمِنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ الشَّاهِدِ الأَمِينِ، الْبِكْرِ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَرَئِيسِ مُلُوكِ الأَرْضِ: الَّذِي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَّلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ، وَجَعَلَنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً للهِ أَبِيهِ، لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ". ونَقرأُ أيضًا في سِفرِ الرُّؤيا 5: 6 10: " وَرَأَيْتُ فَإِذَا فِي وَسَطِ الْعَرْشِ وَالْحَيَوَانَاتِ الأَرْبَعَةِ وَفِي وَسَطِ الشُّيُوخِ خَرُوفٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ، لَهُ سَبْعَةُ قُرُونٍ وَسَبْعُ أَعْيُنٍ، هِيَ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللهِ الْمُرْسَلَةُ إِلَى كُلِّ الأَرْضِ. فَأَتَى وَأَخَذَ السِّفْرَ مِنْ يَمِينِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ. وَلَمَّا أَخَذَ السِّفْرَ خَرَّتِ الأَرْبَعَةُ الْحَيَوَانَاتُ وَالأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ شَيْخًا أَمَامَ الْخَرُوفِ، وَلَهُمْ كُلِّ وَاحِدٍ قِيثَارَاتٌ وَجَامَاتٌ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوَّةٌ

بَخُورًا هِيَ صَلَوَاتُ الْقِدِّيسِينَ. وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً قَائِلِينَ: «مُسْتَحِقٌّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السِّفْرَ وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ، لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا للهِ بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ، وَجَعَلْتَنَا لإِلهِنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً، فَسَنَمْلِكُ عَلَى الأَرْضِ»".

ثُمَّ نَقرأُ في المَزمور 72: 12 14:

لأَنَّهُ يُنَجِّي الْفَقِيرَ الْمُسْتَغِيثَ، وَالْمِسْكِينَ إِذْ لاَ مُعِينَ لَهُ. يُشْفِقُ عَلَى الْمِسْكِينِ وَالْبَائِسِ، وَيُخَلِّصُ أَنْفُسَ الْفُقَرَاءِ. مِنَ الظُّلْمِ وَالْخَطْفِ يَفْدِي أَنْفُسَهُمْ، وَيُكْرَمُ دَمُهُمْ فِي عَيْنَيْهِ.

فالمَلِكُ العادِلُ يُنَجِّي الفَقيرَ المُستغيثَ، والمِسكينَ الَّذي لا مُعينَ لَهُ، ويُشْفِقُ على المِسكينِ والبائسِ، ويَفدي أنفُسَ الفُقراءِ مِنَ الظُّلْمِ والخَطْفِ. فَهُوَ يَشْمَلُ جَميعَ هؤلاءِ بِرَأفَتِهِ وَعَطْفِهِ وَعِنايَتِهِ الإلهيَّةِ. فَهُوَ الرَّاعي الصَّالِح. وَهَذا هُوَ ما قالَهُ يَسوعُ في إنْجيلِ يُوحَنَّا 10: 11 إذْ نَقرأُ: "أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ".

ثُمَّ نَقرأُ في الأعداد 15 17 مِنَ المَزمور 72:

وَيَعِيشُ وَيُعْطِيهِ مِنْ ذَهَبِ شَبَا. وَيُصَلِّي لأَجْلِهِ دَائِمًا. الْيَوْمَ كُلَّهُ يُبَارِكُهُ. تَكُونُ حُفْنَةُ بُرّ فِي الأَرْضِ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ. تَتَمَايَلُ مِثْلَ لُبْنَانَ ثَمَرَتُهَا، وَيُزْهِرُونَ مِنَ الْمَدِينَةِ مِثْلَ عُشْبِ الأَرْضِ. يَكُونُ اسْمُهُ إِلَى الدَّهْرِ. قُدَّامَ الشَّمْسِ يَمْتَدُّ اسْمُهُ، وَيَتَبَارَكُونَ بِهِ. كُلُّ أُمَمِ الأَرْضِ يُطَوِّبُونَهُ.

فالرَّعيَّةُ ستُحيطُ مَلِكَها بالمَحَبَّةِ والكَرامَةِ. فَهُمْ سيُقَدِّمونَ لَهُ الهَدايا، لا لأَنَّهُ بِحاجَة إليها، بل رَغْبَةً مِنْهُمْ في إكْرامِهِ وتَسْبيحِهِ لأجْلِ حِكْمَتِهِ، وَعَدْلِهِ، وصَلاحِهِ، ورَأفَتِهِ. وفي عَصْرِ المَلَكوت، ستكونُ هُناكَ وَفرةٌ مِنَ الطَّعام. فَحَتَّى لو أُلْقَوْا حفْنَةً مِنَ الحِنْطَةِ في الأرْضِ في مَكانٍ لا يُنْتَظَرُ مِنْهُ إلَّا النَّمَرَ القَليل، فإنَّ الحَصادَ سيكونُ وَفيرًا. وسوفَ يُزْهِرُ رَعايا المَلِكِ مِثْلَ عُشْبِ الأرْضِ.

ونَقرأُ هُنا إنَّ اسْمَ المَلِكَ سيبقى إلى الدَّهْر. ومِنَ المُؤكَّدِ أنَّ هذا الوَصْفَ لا يَنْطَبِقُ على سُليمان، بل على الرَّبِّ يَسوعَ فقط. فسوفَ يَصِلُ اسْمُ يَسوعَ المَسيح إلى أقاصي الأرْضِ مِنْ خِلالِ رِسالَةِ الإنْجيل. وَهُوَ سَيكونُ دائمًا وأبدًا مَصْدَرَ كُلِّ بَرَكَةٍ لِجَميعِ النَّاسِ الَّذينَ يَطْلُبونَ اسْمَهُ.

ثُمَّ نَقرأُ في العَدَدَيْن 18 و 19:

مُبَارَكٌ الرَّبُّ اللهُ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، الصَّانِعُ الْعَجَائِبَ وَحْدَهُ. وَمُبَارَكٌ اسْمُ مَجْدِهِ إِلَى الدَّهْرِ، وَلْتَمْتَلِئِ الأَرْضُ كُلُّهَا مِنْ مَجْدِهِ. آمِينَ ثُمَّ آمِينَ.

لا شَكَّ أنَّ هذهِ التَّسْبِيحَةَ الخِتامِيَّةَ قَدْ جاءَتْ في مَكانِها المُناسِبِ تَمامًا لأنَّ اللهَ الحَيَّ يَستحقُّ كُلَّ حَمْدٍ وَتَسْبيحٍ وتَمْجيد.

ويَنْتَهي المَزمورُ الثَّاني والسَّبْعين بهذهِ الكلمات:

تَمَّتْ صَلَوَاتُ دَاوُدَ بْنِ يَسَّى

وبهذا يَكونُ داودُ قَدْ خَتَمَ حَياتَهُ بهذهِ الصَّلاةِ الرائعةِ. وَبوصولِنا إلى نِهايةِ هذا المَزمورِ نَكونُ قد وَصَلْنا، صَديقي المُستمع، إلى نِهايةِ الكِتابِ الثَّاني مِنْ سِفْرِ المَزامير.

والآنْ، نَأتي، أعِزَّائي المُستمعين، إلى الكِتابِ الثالثِ مِنْ سِفْرِ المَزامير، وَهُوَ يَحْوي سَبْعَةَ عَشَرَ مَزْمورًا (مِنَ المَزمور 73 إلى المَزمور 89). والمَزمورُ الثَّالِثُ وَالسَّبْعُونَ هُوَ مَزْمُورٌ لآسَاف. وقد كانَ آسافُ واحِدًا مِنْ قادةِ التَّرنيمِ وكُتَّابِ المَزامير. ولا نَجِدُ هُنا ذِكْرًا للظُّروفِ الَّتي أحاطَتْ بكِتابةِ هذا المَزمور. وبالرَّغْمِ مِنْ ذلكَ، مِنَ السَّهْلِ أنْ نُلاحِظَ أنَّ نَاظِمَهُ يُعَبِّرُ مِنْ خِلالِهِ عَنِ اخْتِبارِهِ الشَّخصيِّ الَّذي هُوَ اخْتبارٌ مألوفٌ لَدينا جَميعًا. فَهُوَ يُصَوِّرُ لَنا الأفْكارَ الَّتي تَجُولُ بِخاطِرِ أحَدِ العابِدينَ الدَّاخِلينَ إلى ديارِ بيتِ الربِّ.

والآنْ، يَقولُ المُرَنِّمُ في العددِ الأوَّل:

إِنَّمَا صَالِحٌ اللهُ لإِسْرَائِيلَ، لأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ.

ومِنَ المُهمِّ، يا أصدقائي، أنْ نكونَ ثابِتينَ في الحَقِّ لأنَّنا جميعًا مُعَرَّضونَ للمِحَنِ والتَّجاربِ في حَياتِنا. وحينَ يَحْدُثُ ذلكَ، قَدْ نَشُكُّ في مَحَبَّةِ اللهِ وصَلاحِهِ. فالسُّؤالُ الَّذي يَطرحُهُ كَثيرونَ مِنَّا هُوَ: إذا كانَ اللهُ صالحًا، لماذا يَسْمَحُ أنْ يَخْتَبِرَ أولادُهُ الضِّيقَ والألم؟

وفي مِثْلِ هذهِ الأوقاتِ الَّتي لا نَفْهَمُ فيها سَبَبَ ما يَجري في حَياتِنا، ما أحْوَجَنا إلى الرُّجوعِ إلى الأشياءِ الَّتي نَعْرِفُها يَقينًا. بعبارةٍ أُخرى، يجبُ أنْ تكونَ هُناكَ أُسَسٌ راسِخَةٌ في حَياتِنا وعلاقَتِنا معَ اللهِ لكي نَعودَ إلى هذهِ الأساساتِ حينَ نَعْجَزُ عَنْ فَهْمِ ما يَجْري في حَياتِنا. فإنْ كُنْتَ تَفْهَمُ تَمامًا أنَّ اللهَ صَالِحٌ، وأنَّهُ يُحِبُّكَ، وَأنَّهُ قَادِرٌ أنْ يَجعلَ كُلَّ الأشياءِ تَعملُ مَعًا للخيرِ للذينَ يُحِبُّونَ الله، فإنَّ مَعْرِفَتَكَ اليَقينيَّةَ هذهِ ستُساعِدُكَ في الثَّباتِ في الظُّروفِ والأحوالِ الصَّعبة.

فهناكَ أشخاصٌ يَسْلُكونَ معَ اللهِ على نَحْوٍ رائعٍ. ولكِنْ ما إنْ يَتَعَرَّضوا لمُشكلةٍ أوْ أزْمَةٍ، فإنَّهُمْ يَفقدونَ سَلامَهُمْ، ويَشُكُّونَ في صَلاحِ اللهِ، ويَتَّهمونَ اللهَ بأمورٍ ليستْ صَحيحة. والسَّببُ في ذلكَ هوَ أنَّ إيمانَهُمْ باللهِ ليسَ قائمًا على كلمةِ اللهِ، بل على المَشاعِرِ فقط.

لذلكَ فإنَّنا في حاجَةٍ مُلِحَّةٍ إلى أنْ يكونَ إيمانُنا باللهِ الحَيِّ قائمًا على كَلِمَتِهِ المُقَدَّسَة. فقد قالَ يسوع في إنجيل مَتَّى 7: 24 27: "فكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أقْوَالِـي هذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا، أُشَبِّهُهُ بِرَجُل عَاقِل، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرِ. فَنَزَلَ الْمَطَرُ، وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ، وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ، وَوَقَعَتْ عَلَى ذلِكَ الْبَيْتِ فَلَمْ يَسْقُطْ، لأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّسًا عَلَى الصَّخْرِ. وَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أقْوَالِـي هذِهِ وَلاَ يَعْمَلُ بِهَا، يُشَبَّهُ بِرَجُل جَاهِل، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الرَّمْلِ. فَنَزَلَ الْمَطَرُ، وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ، وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ، وَصَدَمَتْ ذلِكَ الْبَيْتَ فَسَقَطَ، وَكَانَ سُقُوطُهُ عَظِيمًا!»". لذلكَ، ليتَنا جَميعًا نَبني علاقَتَنا باللهِ على كَلِمَتِهِ الحَيَّةِ. فإنْ فَعَلْنا ذلكَ، لا يُمكنُ لأيِّ عَاصِفَةٍ أنْ تُزَعْزِعَ ثِقَتَنا في مَحَبَّةِ اللهِ وصَلاحِهِ.

وهذا هُوَ ما اخْتَبَرَهُ المُرَنِّمُ هُنا. فَهُوَ يَقولُ في مُسْتَهَلِّ هذا المَزمور: "إِنَّمَا صَالِحٌ اللهُ لإِسْرَائِيلَ، لأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ". فقد كانَتْ علاقَتُهُ باللهِ قائمةً على هذا الأساس المَتين. وسوفَ نَرَى بعدَ قَليل أهميَّةَ ذلك. فَهُوَ يَقولُ في العَدَدَيْن 2 و 3:

أَمَّا أَنَا فَكَادَتْ تَزِلُّ قَدَمَايَ. لَوْلاَ قَلِيلٌ لَزَلِقَتْ خَطَوَاتِي. لأَنِّي غِرْتُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ، إِذْ رَأَيْتُ سَلاَمَةَ الأَشْرَارِ.

فقد كانَ المُرَنِّمُ يُعاني صِراعًا مَريرًا بسببِ غَيْرَتِهِ مِنَ المُتَكَبِّرينَ وَمِنْ نَجاح الأشرار. وقد كادَ أنْ يَحيدَ عَن الطَّريق القَويم بسببِ غَيْرَتِهِ تلك.

ثُمَّ يَقولُ المُرَنِّمُ في الأعْداد 4 12:

لأَنَّهُ لَيْسَتْ فِي مَوْتِهِمْ شَدَائِدُ، وَجِسْمُهُمْ سَمِينٌ. لَيْسُوا فِي تَعَبِ النَّاسِ، وَمَعَ الْبَشَرِ لاَ يُصَابُونَ. لِذلِكَ تَقَلَّدُوا الْكِبْرِيَاءَ. لَبِسُوا كَثْوْبٍ ظُلْمَهُمْ. جَحَظَتْ عُيُونُهُمْ مِنَ الشَّحْمِ. جَاوَزُوا تَصَوُّرَاتِ الْقَلْبِ. يَسْتَهْزِئُونَ وَيَتَكَلَّمُونَ بِالشَّرِّ ظُلْمًا. مِنَ الْعَلاَءِ يَتَكَلَّمُونَ. جَعَلُوا أَفْوَاهَهُمْ فِي السَّمَاءِ، وَأَلْسِنَتُهُمْ تَتَمَشَّى فِي الأَرْضِ. لِذلِكَ يَرْجِعُ شَعْبُهُ إِلَى هُنَا، وَكَمِيَاهٍ مُرْوِيَةٍ يُمْتَصُّونَ مِنْهُمْ. وَقَالُوا: «كَيْفَ يَعْلَمُ اللهُ؟ وَهَلْ عِنْدَ الْعَلِيِّ مَعْرِفَةٌ؟» هُوَذَا هؤُلاَءِ هُمُ الأَشْرَارُ، وَمُسْتَرِيحِينَ إِلَى الدَّهْرِ يُكْثِرُونَ ثَرْوَةً.

إذًا، كانَ الشَّيءُ الأوَّلُ الَّذي أثارَ اسْتياءَ المُرَنِّمِ هُوَ أنَّ كَثيرينَ مِنْ هؤلاءِ يَعيشونَ حَياةً طَويلةً يَختبرونَ فيها النَّجاحَ تِلْوَ النَّجاح. وَحَتَّى إنَّهُ لاحَظَ أنَّ كَثيرينَ مِنْ هؤلاءِ لم يَتعبوا كبقيَّةِ النَّاس، ولم تُصِبْهُمْ تَجاربَ قَاسِيَة. فَقَدْ كانُوا يَتمتَّعونَ بالصِّحَّةِ ويَملكونَ مالًا وَفيرًا، ويأكُلونَ مَا يَشاءونَ بالقَدْرِ الَّذي يَشاءونَ حَتَّى جَحَظَتْ عُيونُهُمْ مِنَ كَثْرَةِ الشَّحْمِ. وَهُمْ يُجَدِّفونَ على اللهِ ويقولونَ إنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ شَيئًا عَنْ مَظالِمِهِمْ وشُرورِهِمْ. وباختصارٍ شَديد، فقد كانَ المُرَنِّمُ يَرى أنَّ الأشرارَ يَنْعُمونَ بحياةٍ مُرَفَّهَةٍ، ولا يَنْقُصُهُمْ شَيء. وَحَتَّى إنَّهُمْ يَموتونَ مِيْتَةً مُريحَةً في أوقاتٍ كَثيرَة.

ويُتابِعُ المُرَنِّمُ كَلامَهُ قائلًا في الأعْداد 13 16:

حَقًّا قَدْ زَكَّيْتُ قَلْبِي بَاطِلاً وَغَسَلْتُ بِالنَّقَاوَةِ يَدَيَّ. وَكُنْتُ مُصَابًا الْيَوْمَ كُلَّهُ، وَتَأَدَّبْتُ كُلَّ صَبَاحٍ. لَوْ قُلْتُ أُحَدِّثُ هكَذَا، لَغَدَرْتُ بِجِيلِ بَنِيكَ. فَلَمَّا قَصَدْتُ مَعْرِفَةَ هذَا، إِذَا هُوَ تَعَبٌ فِي عَيْنَيَّ.

يَتَساءَلُ المُرَنِّمُ هُنا عَنْ فائِدَةِ البِرِّ والقَداسَةِ. فالمُؤمِنونَ يَعيشونَ حَياةً صَعْبَةً جِدًّا، بينَما الأشرارُ يَعيشونَ في رَخاءٍ وازْدِهارٍ ونَجاح! لذلكَ فقد ظَنَّ آسافُ أوَّلَ الأمرِ أنَّ حياةَ القَداسَةِ هِيَ بِلا فائِدَة. ولَكِنَّهُ كانَ حَريصًا دائمًا على تَنْقِيَةِ يَدَيْهِ وتَزْكِيَةِ قَلْبِهِ أمامَ اللهِ.

وفي غَمْرَةِ مَشاعِرِهِ تِلْكَ، كانتْ تأديباتُ الرَّبِّ تَنْهالُ عليهِ طَوالَ اليوم. ولو كانَ قَدْ عَبَّرَ أمامَ الآخَرينَ عَمَّا يَجولُ في ذِهْنِهِ لَرُبَّما وَضَعَ مَعْثَرَةً في طريقِهِم. فمعَ أنَّ أفكارَهُ لم تَكُنْ نَقِيَّةً كما يَجِب، فإنَّهُ كانَ حَريصًا كُلَّ الحِرْصِ على عَدَمِ إعْثارِ الآخَرين. ولأنَّهُ لم يَجِدْ حَلًّا لهذا اللُّغْزِ المُحَيِّرِ (أيْ لُغْزِ نَجاحِ الأشرار)، أصابَهُ التَّعَبُ والإعياء.

وَلَكِنَّ نُقْطَةَ التَّحَوُّلِ المُهِمَّة في حَياةِ المُرَنِّمِ حَدَثَتْ في العَدَد 17. ولِضيقِ الوَقْتِ، سَنَتَحَدَّثُ عَنْ نُقطةِ التَّحَوُّلِ تِلْكَ في الحلقةِ القادمةِ بمشيئةِ الربِّ.

[الخاتمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

هَلْ كُلُّ ما قالَهُ المُرَنِّمُ في الأصْحاحِ الثَّالثِ والسَّبْعين عنِ الأشرارِ صَحيحٌ؟ بالتَّأكيدِ لا. ولكِنَّهُ كانَ يَشْعُرُ بتلكَ المَشاعِرِ مِنْ نَحْوِهِمْ. وَما أكْثَرَ ما تَخْدَعُنا مَشاعِرُنا! وأيًّا كانَ الأمْرُ فإنَّ إيمانَنا الرَّاسِخَ باللهِ وَكَلِمَتِهِ هُوَ الَّذي يُعْطينا الثَّباتَ والنَّظرةَ السَّليمَةَ إلى كُلِّ شَيءٍ في هذهِ الحَياة.

وَفِي الحَلَقَةِ القادِمَةِ مِنْ بَرْنامَج "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم"، سَيُتابِعُ الرَّاعي "تْشَك سميث" (بِمَشيئَةِ الربِّ) دِراسَتَهُ لِسِفْرِ المَزامير. لِذَا، أرْجو، صَديقي المُسْتَمِع، أنْ تَكونَ برِفْقَتِنا وَأنْ تُصْغي إلينا في المَرَّةِ القادِمَة كَيْ تَنالَ كُلَّ بَرَكَةٍ وَفائِدَة.

وَالآنْ، نَتْرُكُكُمْ، أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعينَ، مَع كَلِمَةٍ خِتامِيَّة.

[كَلِمَة خِتامِيَّة]
(الرَّاعي تْشَك سميث)

صَلاتُنا لأجلِكَ، صَديقي المُستمِع، هِيَ أنْ تَكونَ لَديكَ قَناعةٌ راسِخَةٌ بأنَّ اللهَ العَلِيَّ مُحِبٌّ وَصَالِحٌ، وَأنَّهُ يَرى كُلَّ شَيءٍ ويَعرِفُ كُلَّ شَيءٍ لأنَّهُ لا يَنْعَسُ وَلا يَنام. وَصَلاتُنا لأجْلِكَ أيضًا هِيَ ألَّا تَكونَ حَجَرَ عَثْرَةٍ في طَريقِ أيِّ مُؤمِنٍ حَديثِ الإيمان، بل أنْ تَكونَ بَرَكَةً لِحَياتِهِ. باسْمِ فادينا وَمُخَلِّصِنا يَسوعَ المَسيح. آمين.